قصص لى تشون

بقلم: تشن ڤان تشن

ترجمة: رمزى بسى

فى شهر نوفمبر من عام ١٩٥٣ نشرت صحيفة هونان اليومية بملحقها الأدبى قصة « ليس ذلك الطريق » للكاتب الشاب « لى تشون » . وقد أعيد نشر هذه القصة خلال شهور قلائل فى عدة دوريات معروضة أحسن عرض . وفى السنوات التالية للتحرير الوطنى مباشرة نفذ قانون الاصلاح الزراعى فى الريف فتحسنت أحوال الفلاحين ، وفى نفس الوقت ظهر ميل قوى الى الراسمالية لدى بعض العناصر ، فكيف كان يمكن اغراء الفلاحين بالسير فى طريق الاشتراكية الوصول الى التقدم الجماعى ؟ لقد نجحت قصة « لى تشون » التى عالجت هذه المشكلة الحرجة فى الحياة الواقعية وحظيت بكثير من الاهتمام ، وفى السنوات العشر التى انقضت منذ ذلك الحين استطاع هذا المؤلف نشر نحو خمسين قصة قصيرة ، وأصبح الآن أقوى الكتاب أثرا فى الصين الحديثة .

ولد « لى تشون » سنة ١٩٢٧ بقرية من أعمال لويانج باقليم هونان ، وبعد أن قضى عاما باحدى المدارس المتوسطة اشتغل صبيا فى متجر لبيع الملح ثم فى متجر والده واستطاع تثقيف نفسه فى أوقات الفراغ ، فقرأ كثيرا من كتب الأدب الصينى والآداب الكلاسيكية الأجنبية ، وأخيرا أشتغل مدرسا للغة الصينية باحدى المدارس المحلية بعد تحرير لويانج سنة ١٩٤٨ ، ثم بدأ يكتب فى أوقات فراغه ، وكان لقضائه أيام طفولته بالريف ومعرفته الدقيقة بحياة الفلاحين وعاداتهم وأفكارهم ومشاعرهم أعمق الأثر فى أعماله ككاتب قصاص .

وسرعان ما انتقل « لى تشون » مع عائلته بعد أن نشر قصة « ليس ذلك الطريق » مباشرة ليستقر بقرية « سسامتسون » فى منطقة «هسنجيانج» حيث عاش مع الفلاحين . ويلاحظ أن هذا العقد الأخير قد شهد سلسلة من التغيرات الكبرى فى الريف الصينى ، فاتسعت نظرة الفلاحين نتيجة للاصلاح الزراعى وقيام الحركة التعاونية واستقرار الحكم الشعبى ، وتحول تبعا لذلك نمط حياتهم وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض ، فاتخذ « لى تشون » من الأغنياء القدامى ومن هذه التغيرات السريعة فى حياة الفلاحين ، ومن نضالهم فى الريف معينا

غزيرا لقصصه فانتج آثارا رائعة تقدم لنا صورة صادقة للأحوال الجديدة فى القرى فى عهـــدها الاشتراكى . وأهم ما نلاحظه فى كتاباته ، قدرته على ادراك أدق مظاهر الحيـــاة المعاصرة وابراز ما فيها من متناقضات حادة ، ومعالجته لأخطر المشكلات الاجتماعية مما يضفى على قصصه احساسا قويا بالعصر الذى تمثله ، هـــذا بالاضافة الى أنه يكتب بحماسة وتقـــدير بالغين عن الفلاحين الجدد الذين يناصرون قضية الاشتراكية ويعتنقون الأخلاقيات الجديدة .

ومن أهم آثار « لى تشون » :

القصص الست الأولى من مجموعة « ليس ذلك الطريق » التي نشرت سنة ١٩٥٣ و ســـنه ١٩٥٤ ، تعـالج فى جملتهـــا حياة الفلاحين بعد الاصلاح الزراعى ، اذ كان الفلاحون يحلمون منذ أجيال طويلة بملكية الأرض ، ولكن الآن وقد تحقق حلمهم عزف بعضـــهم عن السير فى نفس الطريق ولم يظهـــروا اهتماما بالأحوال الجديدة . فالفـلاح العجوز « سونج لاو ــ تنج » فى هـــذه القصة يبدأ فى نســـيان الماضى بعد أن تحسنت أحواله بعد الاصلاح الزراعى ويأمل فى أن يصبح غنيا عندما يشترى قطعة أرض من فلاح آخر وقع فى ضائقة مالية مؤقتة ، ولكن ابنه «تونج ــ شان» وهو عضو فى الحزب الشيوعى يعارضه فى هذه الرغبة ويحاول اقناعه بالحجة ويذكره بأنه هو نفسه فقد ارضه قبل التحرير نتيجة لاستغلال صاحب الأرض ، ويقتنع الأب أخيرا ويعـــدل عن رأيه ويعطف على الفلاح الذى كان سيضطر الى بيع أرضه التى يعيش عليها تحت وطأة الفقر واليأس ويرده ضميره عن طمعـــه فى أن يصبح غنيا على حساب تعاسة الآخرين .

ونلاحظ هنا أن تونج ــ شان طراز جديد من النـــاس يريد لأفراد طبقته التقدم والنجاح بالتعـــاون فى الطريق الاشتراكى . وكان الطريق الذى يجب أن يسلكه الناس هو مشكلة المشاكل فى القرى ، فعمد « لى تشون » الى توضيح هذا الصراع حول المشكلة .

أما « العجوز منج كوانج ــ تاى » فهى قصة منج العجوز وابنـــه ، وهما حوذيان قديمان يعملان فى جمعيـــة تعاونية ، وقد غضب الأب غضبة جامحة حين علم أن ابنه تين ــ هسيانج ــ بتأثير نصـــيحة أمه ــ قد حمل الى البيت ما تبقى من علف الماشية ، ففضح ابنه علانية وعنفـــه أشد تعنيف ورفض أن يمنحه صوته فى الانتخاب ، وعندئذ أدرك الابن خطـــأه وانه لم يكن يجدر به أن يتصرف فى الجمعية التعاونية كما كان يتصرف مع ســـيد الأرض فى العهد السابق ، وندم هو وأمه على ما اقترفاه . وينج العجوز ليس الا صورة رفيعـــة للفلاح الأمين المنكر لذاته ، الذى قد يفوق حبـــه لمزرعته الجماعية حبه لأسرته ، وأهم ما يلاحظ فى هذه القصة هو أنها أثارت مشكلة اخرى أشد خطرا وهى حاجـــة الفلاحين الى التفكير الجماعى لكى تنجح المزارع الجماعيـــة ، ولكن ذلك كان أمرا صعبا بالنسبة للفلاحين الذين اعتادوا قرونا عـــدة على العمل

فرادى كل لصـــالحه الخاص فى قطعة الأرض الصغيرة التى يملكها .

وتوضح قصة «عندما يذوب الجليد» الصراع بين وجهتى نظر هامتين عنـد الفلاحين ، فنجد فى هذه القصة القصيرة « تشنج ته ــ منج » رئيس مزرعـــة « العلم الأحمر » التعاونية يخلص كل الاخلاص للقضية الاشتراكية ، وينزعج اشد الانزعاج لأن صديقه القديم « وى هو ــ تو » الذى حارب معـــه بقوة وتصميم فى سبيل الاصلاح الزراعى ، يعمل لصالحه الخاص بعـد أن صـار رئيســا لجمعيــة « الضوء الأحمر » التعاونيـــة . ويشـتد النقـاش بين الصديقين وبعنف ، وأخيرا يدرك «وى» الخطر الذى يتهـدده لانصياعه لأفكار الرجعيين وسوء اســتغلاله لجماعته ومحاولة كسب منافع شخصية .

ولعل النزاع الذى تعرضه هـــذه القصص يكشف لنا عن نمط جديد من الحياة التى يتجه اليها الفلاح الصينى فالرجال من أمثال : سونج تونج ــ شان ، ومونج العجوز ، وتشـنج ته ــ منج ، يبذلون قصارى جهـدهم لاجتـذاب الفلاحين الى الأخذ بالمبادىء الاشتراكية والسير فى طريق التعاون . فهم يحبون العمل التعاونى أكثر من حبهم لحياتهم ، ويدركون أن التعـــاون هو الوسـيلة الوحيدة للتغلب على الفقر فى القرى .. انهم رجال من طراز جديد لم نعهدهم قط فى الآداب الصينية ، وهم يختلفون اختلافا جوهريا عن الفلاحين القدامى المغلوبين على أمرهم ، كما يختلفون عن ابطال الفلاحين الذين كانوا فى القـديم يغـامرون بحياتهم فى محاربة التوسع الاستعمارى ضد شيانج كاى ــ شك وسادة الأرض الذين فتكوا بهم ، لأن أولئك الرجال يقومون بثورة جـــديدة لاقتلاع الأنانية وفكرة الملكية الخاصة . انه كفاح فى وقت السلم ، ولـكنه مع ذلك كفاح أشد قوة وأكثر تعقيدا .. ان « لى ــ تشن » لم يتجاهل هـــذه المشكلة بل بذل جهـده فى عرض هذه المتناقضات فى الحياة ، وهذا هو السر الأساسى فى نجاح أعماله الأدبية الأولى

أما كتاباته فى المرحلة التالية فخير ما يمثلها مجموعة قصصـــه المسـماة « عندما يزهر البردى » ، وهى مكونة من أربعة عشر قصة قصيرة كتبها بين عام ١٩٥٥ والنصف الأول من عام ١٩٥٧ وكلها تقريبا تعالج الحياة فى القرى وان كانت موضـــوعاتها أكثر تنوعا بحيث تغطى مظاهر من الحيـــاة أوسع مدى وتكشف عن تقـــدم هائل فى تصوير الخصائص والمميزات . وقلما نجـــد قصة منها تقع فى أكثر من ست أو سبع آلاف كلمة ، تصور كل منها قطاعا أو شريحة من الحياة ، أو تحلل شخصية من الشخصيات ، فنجد فيها الشبان والفتيات والأطفـــال والمسنين يعملون جميعا فى بناء وطنهم ، وتدهش لوطنيتهم وتفانيهم فى خدمة الشعب ، ولتفاؤلهم ،

وحماستهم للارتياد وروح الكشف . وبالرغم من أن معظم هذه القصص بالغ القصر الا أنها غنية عميقة يغلب عليها اللون المحلى القوى ، ويترك ما تحتويه من فكاهة وخصب أثرا قويا على ذهن القارىء .

وتعد قصة « الزوجة » من اروع قصص هذه المجموعة ، فبطلتها قد انخرط زوجها فى سلك المتطوعين الصينيين فى الحرب الكورية ضد الامريكيين ، وتوفرت هى على خدمة أمه (حماتها) . وعندما تلقت خبر مقتله فى ميدان الحرب أخفت حزنها عن حماتها العجوز اذ كانت شديدة التعلق بولدها ، بل أخذت تصطنع خطابات تدعى أن ابنها ارسلها من ميدان القتال فى كوريا . وأخيرا عرفت الأم من السلطات باستشهاد ابنها ، وأن الخطابات التى وصلتها انما كانت من تدبير زوجته .. وهنا تحاول الأم تخفيف حزن الزوجة .. انها نزعة انسانية سامية التى دفعت كلا من المرأتين الى ذلك المسلك تجاه الأخرى وهى تكشف بوضوح عن العلاقات الجديدة بين الأفراد وعن الايمان بمستقبل أفضل .

ولقد شهد عام ١٩٥٨ القفزة الاشتراكية الكبرى لبناء الصين الجديدة حين عمل الشعب دون كلل على تحقيق التحول الزراعى والقضاء على الفقر والجهل ، فنشر «لى تشون» مجموعتين من القصص فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٧ و سنة ١٩٦٠ على التوالى تكشف كل منها عن حماسة الأهلين لبناء القرى فى ذلك الوقت . وبلغت كتابات لى تشونج غاية النضج — وان كانت تبدو غاية فى البساطة — ونجحت فى حفز الناس واستثارة شعورهم نحو « التعمير والانتاج » والتنافس السليم بين الأفراد . وتعد قصة « الجوادين الهزيلين » من أجود القصص ، وهى تحكى قصة مرب للجياد اشترى جوادين هزيلين بثمن بخس وتعهدهما بالتطبيب والتغذية حتى أصبحا قادرين على العمل كبقية القطيع .

أما « نسيم الربيع » فتعالج قصة جندى سرح من الجيش فكرس بقية حياته على بناء مسكن للعجزة والمسنين الذين ظلمهم ملاك الأرض قبل التحرير ولم يعبأ بتهكم جيرانه وسخرية زوجته وملأ هذا المسكن بالمرح وبعث الحماسة بين سكانه حتى يجد هؤلاء الذين لم يعرفوا طوال حياتهم غير الفقر ملجأ آمنا لهم فى نهاية أيام حياتهم . ثم قصة « المفاتيح » التى تعالج حياة أسرة كثيرة العدد فى ظل الحكم الشعبى . وكان معظم أفرادها العشرين يعملون ، ولكن رب الأسرة الذى كان يحيا حياة بليدة ويستولى على أجور أفراد الأسرة الآخرين وما يكسبه أبناؤه وحفيداته مما اثارهم وحفزهم الى القضاء على هذا الاقطاعى والنظام الأبوى البغيض ، لبدء حياة مستقلة جديدة .

وتدور جميع هذه القصص فى ظاهرها حول حوادث قليلة الأهمية ، ولكنها فى الحقيقة ذات دلالات عميقة ، فهى تحكى قصة النمو فى مجتمع جديد ، والعلاقات الجديدة بين الأفراد والأنماط المستحدثة فى العمل ،

والاتجاهات الجديدة فى الحياة . ولما كانت هذه القصص تكشف عن انحلال القوى القديمة وتقدم القيم الاجتماعية الانسانية فانها تتضمن روحا ثورية تعكس طابع العهد الجديد وتوحى الى القراء بالسير قدما .

وتتضح هذه المميزات فى « قصة لى شوانج ـ شوانج » وهى عن نساء قرويات ، كن آبان القفزة الكبرى بطلات لكثير من القصص ، وقد قال عنهن « لى تشون » انهن النساء اللائى كن يخجلن من سنوات قلائل من التحدث الى الغرباء ، فأصبحن بطلات عاملات يعلن الحرب على الطبيعة ، وأصبحن محاربات يعملن دون توقف من أجل الثورة ومن أجل المجموع . وهذا عتق حقيقى للانسان من ربقة العبودية وتحرير لقوته وعقله ... ولقد قابلت أثناء اقامتى فى الريف نساء كثيرات من هذا الطراز من النساء اللائى يميزن بالمثل العليا والروح النبيلة .

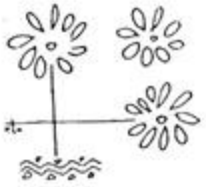

ولقد تأثر ببعضهن تأثرا بالغا حرمه النوم فى تلك الليلة ، فعكف على كتابة هذه القصص الطريفة . وبطلة « قصة لى شوانج ـ شوانج » امرأة قروية شابة أوحت اليها القفزة الكبرى بالعمل الدائب خارج بيتها لصالح المجموع ، وأوقفت جهدها على تحقيق مصالح الشعب بالرغم من اعتراضات زوجها « هسى ـ وانج » الذى كان عاملا ماهرا طيب القلب ، ولكنه كان يحمل أفكارا (أبوية) من حب السيطرة تدفعه أحيانا الى الاستبداد بزوجته ، وهو فى نفس الوقت لا يعمل على نفع طبقته من العمال وبعد مصادمات كثيرة بينه وبين زوجته اعترف بخطئه ، وأدرك سداد رأيها وكفايتها وهما الصفتان اللتان لم يفطن اليهما من قبل .

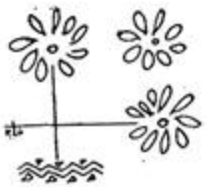

وليست لى شوانج ـ شوانج الا امرأة قروية عادية تقوم بالأعمال اليومية العادية التى تقوم بها سائر القرويات ، ولكن روحها المتوثبة ورفضها الخضوع للمصير الذى فرضته عليها التقاليد الوراثية ، وشجاعتها فى التمرد على زوجها ، وأسلوب حياته ، كل ذلك طبع أخلاقها بالسمو والنبل ، وجعلها ذكاؤها ونشاطها وصراحتها وحماستها المرأة الشابة الجذابة التى تلائم عصر البناء الاشتراكى فى الصين .

وقصة « بذر الحبوب فى السحاب » تدور حول فتاة تدعى هسباو شو ـ يانج » ، تذهب الى المدينة لدراسة الظواهر الجوية ، وعند عودتها الى قريتها تقيم محطة تسجيل لهذه الظواهر لينتفع بها الشعب . ولما كان اعدادها بسيطا ومعلوماتها محدودة وبحاجة الى

التدريب فقد سخر منها بعض المحافظين ولكن شـــو ـ يانج ابتت على رأيها واستطاعت بتشجيع القيادة الشعبية ومعاونة أصـــدقائها أن تنجح فى اقامة المحطة الصغيرة التىأفادت فى الزراعة . فهذه الفتاة مثال للفتاةالصينية الحديثة المولعة بالدراسة العلمية .

واتسعت دائرة لى تشـــون بتقدم الصين الجـــديدة فى مضمار الرقى ، ونســـتطيع أن نرى من كتـــاباته التى نشرت فى السنوات الأخيرة ، أنه عكف على معالجةالموضوعات الجديدة ودراسة الظواهر الجديدة ، ومن ثمة فان قصة « عصيدة حبة الشعير » تعد تصويرا موجزا لطيفا يصف كيف يتعاون عمال المدن مع الفلاحينباقامة أعمدة التلغراف فى القرى ، وتكشف عن الروابط الوثيقة القائمة بينهم . أما قصة « مطر فى غير موعده » فتـــدور حول تجربة طالب صغير يذهب للعمل فى الريف ، فهذه الموضوعات التى يطرقهـــا لى ـ تشون تبشر بمستقبل أدبى زاهر .

وقد صرح « لى تشون » مرة قائلا : « عندما يتحـــد الكاتب بأفكاره وشـــعوره مع الجماهير يستطيع أن يستكشف الحزم والتصميم والصفات النبيلة التى تتسم بها الطبقة العاملة » وهو نفسه يعيش بين الفلاحين مصداقا لفكرته . وبفضل قوة ملاحظته ودقتها ، وتحمسه لبنـــاء الصين الاشتراكية الجـــديدة ، والتحول الاشـــتراكى فى الريف ، نراه يضع أصـــبعه دائما على نبضات هـــذا العهد ، ويستطيع دائما انتاج أعمال أدبية جيدة تعكس معـــالم روح هذا العصر الحديث ،كما أن أسلوبه واضح موجز وحى . واقتران كل هذه الصفات مع المامه التـــام بلغة الحديث الدارجة ، وروحه المرحـــة يضفى على كتاباته اشرافا وصـــفاء ويوسع دائرة قرائه .

العالم فى عينة

بقلم : عبدالفتاح الديدى

فى وقت ما من عام ٥٠٠٠ كان أحد الشبان فى سن الحادية والعشرين يحاول الدخول الى معمل مهيىء بكافة الأدوات والأجهزة . وكان يسرع خطاه نحو كهل فى الخامسة والخمسين يقف أمام مجموعة من الحجارة وأصناف من الرمال .

الشاب ــ لقد وجدتها يا سيدى .

الرجل ــ ما هذا الذى تقوله ؟ لعلك لا تريدنى ان أصدق .

هذا الزعم . قصيدة غزل من رجل فى امراة اتريدنى أن أصدق ذلك .

ــ بل أريد أن تسمع هذه الأنشودة .

ــ اسمعنى .

ــ أواه من حب لا يفتأ يستنهض قواى .

نحو المجد ونحو أى شىء ترغبين فيه يا حبيبتى .

لقد عشت أيامى .. أيامى كلها .

أتملى النور من عينيك .

والظلام من شعرك الفاحم .

واذوق طعم الوجد من رضابك .

فألق بى عند أعتاب خطوك .

أو فى هاوية خراب .

أنا صنيع هواك .

ــ وبأى لغة كانت هذه القصيدة ؟ .

ــ انها من عصر يبعد عنا بمائتى ألف سنة فى تقديرى وهى مكتوبة بلغة كانوا يستخدمونها للافاضة بحالات الشعور الوجدانى المفعم اسمها الايطالية .

ــ وأين وجدت خطوط هذه اللغة ؟

ــ فى بئر عند حافة نهر الفركور .

ــ أهو ذلك النهر الممتد فى قلب قارة شيشتر ؟ .

ــ نعم يا أستاذى .. الا أستحق الآن شهادة الدكتوراه . ان نظريتى صائبة مائة فى المائة . لقد كان الناس فى عصر ما قبل ظهور الآدمى الحالى يستخدمون لغات متعددة ويتغنون بمحاسن أنثى لا تمشى على أربع وتفهم احيانا ما يقولون . وكان الرجل هو الذى يطارد المراة ويحاول اقتناصها . انها